الفكر التربوي عند الامام الكاظم عليه السلام

الأستاذ المساعد الدكتور
عقيل رشيد عبد الشهيد الأسدي
جامعة الكوفة ـ كلية التربية الأساسية
akeel.alasdi@uokufa.edu.iq

The Educational Thought of Imam Al-Kadhim (peace be upon him)

Assistant Professor Dr.
Akeel Rasheed Abdul Shaheed Al-Assadi
Kufa University - college of basic education

الملخص:

لا شك إن لكل مجتمع تربيته الخاصة التي تعكس فلسفته وأهدافه وظروف حياته، وألوان نشاطه، وقيمه ومعتقداته، فالتربية هي التي تحدد القيم الصالحة والسامية في الواقع الانساني، وتنشر قيم الفضيلة والرقي والتكامل في المجتمع، لذلك نجد أن التربية الإسلامية سعت إلى ذلك من خلال تربية الذات الإنسانية من طريق تنمية الإيمان والعلم والخلق والعمل الصالح بصورة متزنة منسجمة، فضلا عن أنها تأكد على أهمية التمسك بحرية الفكر والانفتاح على المصادر المختلفة للثقافة؛ لترتقي بالإنسان الى مراتب الكمال النهائي الذي اراده الله سبحانه له.

لذلك نجد المصلحين على مر العصور والازمنة قد بذلوا جهوداً مضنية للوصول الى منهج تربوي ناجع يستندون إليه في تربية الانسان والمجتمع على أُسس سليمة وصالحة، وفي بيئتنا الإسلامية كان النبي محمد صلى الله عليه وآله واهل بيته الكرام عليهم السلام الاسوة الحسنة الذين أناروا الطريق للمسلمين بأفعالهم وأقوالهم ودماثة أخلاقهم وحسن سلوكهم.

ومما يؤسف له حقا أن أنظار كثير من المسلمين ولاسيما العاملين منهم في حقل التربية والتعليم تتجه إلى مدارس الغرب التربوية لتتلقى عنهم مناهجهم التربوية تاركين وراءهم التراث الثر لأهل البيت، ولاسيما الامام الكاظم عليه السلام إذ كانت وصاياه وأقواله وأفعاله لو استعملت في الحقل التربوي ووظفت في مجالاته المتعددة لكانت كفيلة بترسيخ أروع القيم والمثل العليا في النفس الانسانية ولجعلت من الفرد شخصية سوية قادرة على القيام بدورها في بناء المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الإمام الكاظم، الفكر التربوي، بناء المجتمع، التربية العرضية، التربية النظامية، الفكر التنموي، المصلحين.

Abstract:-

Undoubtedly, each society has its education that reflects its philosophy, objectives, and conditions of its life, So Education determines the noble values in human reality to spreads the values of virtue, and integrity in society. Therefore, we find Islamic Education tried to achieve it through human self-education in a way of faith developing, science, morals, and good deeds in a harmonious and balanced manner. Moreover, it stresses the importance of freedom of thought and being open to the various sources of culture. To elevate the person to the ranks of the ultimate perfection that God Almighty wants him.

That's why we find reformers throughout the ages have made big efforts to reach an effective educational curriculum on which to base the education of man and society on a valid basis.

The Prophet Muhammad (Peace be upon him and his family) and his honorable household (peace be upon them) were the good examples who illumined the path for Muslims with their deeds. They enlightened the way for Muslims with their deeds, words, gentleness, and good behavior.

But unfortunately, the insights of many Muslims, especially those are working in the field of education, are turning to Western educational schools to receive their educational curricula from them, leaving behind the rich heritage of the Ahl al-Bayt.

Key words: Imam Al-Kadhim, Educational thought, Community building, Incidental education, Systematic education, Development thinking, Reformers.

المبحث الأول

التربية والفكر التربوي الاسلامي

تناولت في هذا المبحث التربية لغة واصطلاحا، وأهمية التربية، والعوامل المؤثرة فيها، والتربية الإسلامية ومصادرها

التربية لغة

(رَبا الشيءُ يَرْبُو رُبُوّاً ورِباءً زاد ونما وأَرْبَيْته نَمَّيته... رَبَّيْته تَرْبِية وتَرَبَّيْته أَي غَذَوْتُه)[١].

التربية في الاصطلاح:

هي عملية سلوكية انسانية، واجتماعية، وحضارية، يكتسبها الانسان، نتيجة لتفاعله المباشر مع البيئة الطبيعية والاجتماعية بإمكاناتها المادية والمعنوية[٢].

أما التربية الإسلامية

فهي: (النشاط الفردي والاجتماعي الهادف إلى تنشئة الإنسان فكرياً وعقلياً ووجدانياً وحسياً وجمالياً وخلقياً، وتزويده بالمعارف والاتجاهات والقيم والخبرات الازمة لنموه نمواً سليماً طبقاً لأهداف الإسلام)[٣].

فالتربية في الإسلام تهتم بخلق جيل يؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر، فضلا عن التنشئة الصالحة للأجيال لتهيئة الأرضية المناسبة لرشد الانسان وتكامل شخصيته.

أهمية التربية:

التربية ركن من أركان الحياة الرئيسة، فلا الفرد يستطيع أن يستغني عنها ولا المجتمع يستطيع تجاهلها فكلما ارتقى الإنسان في سلم الحضارة زادت حاجته الى التربية التي أصبحت حقا من حقوق الإنسان بوصفها عملية أساسية في تقدم الشعوب ونهضة الأمم، ومن هنا كان الاهتمام بميدان التربية والتعليم لأنها مفتاح للتنمية البشرية التي تعد طاقة محركة للتنمية الشاملة[٤].

فالغاية من التربية هي خلق مواطنين يقومون بالوظائف الاجتماعية التي منها الابقاء على الثقافة وارتقائها واصلاح عيوبها وان عملية التربية هي مساعدة كل فرد

على ان ينمو في اطار قدراته واستعداداته نموا موجها نحو صالح الجماعة، وان هذا الجانب لا ينحصر في حقل المعارف فقط ولكنه يشتمل كل شخصية الفرد بجميع نواحيها، فهو يمس العقل من حيث التفكير والمعرفة، ويمس الجسم من حيث الصحة والمهارات، ويمس الروح من حيث القيم والمثل، ويمس الإرادة من حيث القوه والاتجاه، ويمس بناء مقومات الفرد كلها من حيث المظاهر السلوكية في سياق احتكاكه بالأشياء والناس(٥).

ولا شك ان عملية التربية تتأثر بالعوامل الثقافية السائدة في مجتمع ما والحق أن لكل مجتمع ثقافته الخاصة في الحياة وبذلك تختلف المجتمعات في أنماط التربية وخصائصها بحسب اختلاف الثقافات في المجتمعات.

لذلك ينزع كل مجتمع الى الاستمرار والبقاء في اتجاه الارتقاء والتطور اخذا الماضي بمحمل الجد ومنازعا تطلعاته الحالية في الوقت نفسه، وهو ينجح في هذه المهمة عندما ينقل للناشئين ارثه من المعارف والتجارب والعادات المادية والروحية بمعنى طراز حياته من جهة ونظرته للوجود بواقعه الحالي من جهة اخرى، وهذا النمط من التربية الاجتماعية للناشئ تتم اولا عن طريق غمس بطئ له لأنه يتابع العيش وسط الكبار، ثم ما تلبث حتى تغدو واعية بل فاعلة في بناء واعداد ذلك النشيء(٦).

أشكال التربية:

يحاول الباحثون تصنيف عملية التربية في أشكال أو أصناف متعددة على أساس طريقها أو مؤسساتها أو حسب المكان الذي تتم فيه، وفيما يلي أكثر هذه التصنيفات شيوعا:

١- التربية النظامية: وهي التربية التي تتم من خلال التعليم الذي يحصل في المدرسة أو المؤسسة التعليمية، وما يميز هذا النوع من التربية أنها تتم على أساس وجود أهداف محددة لها، ومناهج دراسية وطرائق وأساليب تربوية ونظم إدارية.

٢- التربية غير النظامية أو الموازية: وهي التربية التي تتم من خلال الأسر ودور العبادة والنوادي ومراكز الترويج ومجتمع الرفاق والحياة الاجتماعية، وهذه التربية لا تتم في ضوء اهداف واضحة ومحددة بصورة مسبقة وهذا النوع من التربية تزايدت خطورته في العصر الحالي بما نشهده من تزايد وسائل الاتصال وشيوعها.

٣- التربية العرضية او التلقائية: وهي التربية التي تتم في العالم الواسع للفرد من دون ان تكون هنالك جهة معينة تهدف للقيام بها، فهي تجري في البيئة الطبيعية والاجتماعية بصورة عفوية وتلقائية وتعد من أخطر اشكال التربية على تنشئة الفرد وتربيته(٧).

التربية في الفكر الإسلامي:

التربية في المنظور الإسلامي هي منظومة قيمية من حيث المضمون والجوهر، إذ أن هدفها الشامل يصب في تنمية الفرد والمجتمع نحو الأفضل عن طريق الاكتمال والنضج والتهذيب والتثقيف المستمر والمتواصل(٨).

وقد جاءت نظرة الإسلام للطبيعة الإنسانية متكاملة، بمعنى انه ليس جسميا فقط أو روحياً فقط، بل هي مزيج من جسد وروح وعقل، وهو وحدة متكاملة قائمة على حدّ الامتزاج بين المادة والروح(٩).

وانعكست هذه النظرة على القيم الإسلامية بحيث لم يقتصر هدف التعليم على تنمية العقل وتدريبه وإهمال الجسم بعده معوقا لعمل العقل، بل اهتمت التربية الإسلامية بالجسم في إطار الإنسان لارتباطه بالعقل والنفس، وكان طابع التعليم دينيا ودنيويا، إعداد الإنسان لعملي الدنيا والآخرة(١٠).

فالفكر التربوي الاسلامي في اساسه نظام تربوي متكامل، يتناول الكائن البشري بجوانبه الفكرية والروحانية، الجسمية والسلوكية. وهو يستهدف تحرير هذه الجوانب في الانسان، تحرير العقل من الوهم والضلال، وتحرير النفس من الخوف والعبودية، وتحرير الجسم من الخضوع للذات والشهوات. وتستند التربية الاسلامية الى القرآن الكريم والسنة النبوية واستنادها الى هذين الاساسين جعلها تتسم بالتكامل والشمول في نظرتها للكون والانسان والمجتمع(١١).

وقد خصّ الله الأمة العربية والإسلامية بشخصيات فذة تمثلت بالنبي محمد صلى الله عليه وآله، وأهل بيته الكرام عليهم السلام إذ اجتمعت في شخصية النبي الكريم محمد صلى الله عليه وآله صفات اهلته لكي يقود عملية اعادة بناء شخصية الانسان المسلم، فكان بحق المربي الاول، إذ كانت أقواله وأفعاله

منارا للأمة وعبدت الطريق للوصول بالإنسان الى سمو الاخلاق و الفضيلة، وكان خير وريث له للتمسك بسنته والسير على نهجه أهل بيته الكرام عليهم السلام ولا سيما الامام الكاظم.

ومما لاشك فيه إن الامم والشعوب لا تستطيع المحافظة على استمرار وجودها وتقدمها ورقيها الا بفضل اعداد اجيالها المتعاقبة الاعداد السليم المتكامل، وبقدر ما تحافظ الامم والشعوب على تربية هذه الاجيال، على التمسك بدينها ومعتقداتها وقيمها بقدر ما تحافظ على علو شأنها، ومثلما فطنت الامم والشعوب إلى أهمية تربية أجيالها المتعاقبة فطن أعداء هذه الامم والشعوب الى ضرورة تخريب جذور البناء الصحيح لتربية الأجيال المؤمنة برسالة أمتها عبر التاريخ(١٢).

وحتى تستطيع الامة الاسلامية انقاذ ناشئتها من هذا الضياع فانه ينبغي لمنهج المدرسة في المجتمع الاسلامي أن لا يؤكد على الحياة الحاضرة، وينسى الدار الاخرة، وينسى قول الله عز وجل ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾(١٣) فإن عليه الحفاظ على المكتسبات التي حققتها الاجيال الماضية في شتى مناحي الحياة واستحضارها في الحاضر لتكون قاعدة للانطلاق نحو المستقبل بكل ما يحمله من عوامل التطور والتقدم.

مميزات التربية الإسلامية

انمازت التربية في الإسلام عن غيرها في الفلسفات الأخرى بكونها:

١. تربية شاملة: تعنى بالإنسان من جميع نواحي تكوينه ونموه جسميا وعقليا وروحيا وخلقيا، فالإنسان من وجهة النظر الإسلامية ليس بكيان مادي فحسب كما ليس بالروح المجردة عن المادة، بل هو كائن يحتاج الى نمو الجسم والعقل والروح والخلق بتوازن واعتدال.

٢. تربية متكاملة: تعنى بتزويد الانسان بمجموعة من العلوم والمعارف لتؤدي به الى نظرة متكاملة نحو الكون، فضلا عن تكوين اتجاهاته الإيجابية.

٣. تربية مستديمة: تعنى بحفز الانسان على استمراره في التعليم الذاتي وطلب العلم الى اقصى درجة ممكنة له.

٤. تربية سلوكية: تنمي لدى الانسان الخلق القويم والتعامل الأخلاقي مع المجتمع.

٥. تربية أصالة ومعاصرة: تعزز لدى الانسان القيم الاصلية على وفق معتقداته وتراعي الانفتاح على المجتمعات الإنسانية الأخرى.

٦. تربية عالمية وحضارية: تمكن الانسان على التواصل والتفاهم العالمي، فالرسالة الإسلامية رسالة عالمية موجهة لكل البشر فقد أسهمت كثيرا في تقدم الحضارة الإنسانية من خلال التأثر والتأثير الإيجابي في الحضارات الأخرى.

٧. تربية معرفية: توسع لدى الانسان العمق المعرفي وتشجع على تطبيق المعرفة في الحياة العملية واثراءها وتنميتها(١٤).

المبحث الثاني

الفكر التنموي للإمام الكاظم عليه السلام

سنعرض في هذا المبحث بعضا من أحاديث الإمام الكاظم عليه السلام ذات البعد التربوي، وقراءتها قراءة تربوية.

١. التفكر والعقل الباطن

التفكر هو التأمل وإعمال الخاطر في الشيء بمعنى تصرف القلب في معاني الأشياء لإدراك المطلوب، والتفكر هو أحسن ما تنفق فيه الأنفاس و تبذل فيه الأوقات وتشغل فيه العقول سواء أكان ذلك في التفكر بآيات الله عز وجل وعجائب صنعه أم بالنظر في أحوال النفس أو في غير ذلك من الأمور النافعة التي ينبغي للعبد أن يتبصر بها، وأن يتفكر فيها، فالتفكر هو أصل الخير والشر، فالإنسان قد يتفكر في أمور تؤدي به إلى المهالك، والقلق والاضطراب، وقد يتفكر في أمور يحصل له بسببها النجاة في الدنيا، والفوز في الآخرة؛ لأن الإنسان إنما يعمل عادة بعد أن يجيل فكره و بعد أن ينظر ثم بعد ذلك يقدم على العمل.

لذا نجد الامام موسى بن جعفر عليه السلام يقول: (دليل العقل التفكر)(١٥).

فالفكر هو أساس كل سلوكياتنا كما يقول الفقي: (أن الفكر هو جذور كل سلوكياتنا ونتائجها، وهو السبب في حالتنا النفسية والعضوية وصورتنا الذاتية وتقديرنا الذاتي، وفي

إنماء ثقتنا بأنفسنا أو عدمها)[١٦].

فعندما تفكر بطريقة ايجابية فلا شك تكون النتائج ايجابية فأنت نتيجة أفكارك وما تكون عليه في الخارج هو انعكاس لواقعك الداخلي. لأن العقل يجذب باستمرار الذبذبات التي تتوافق مع الرغبة المهيمنة عليه، وأي فكرة أو خطة أو هدف يحمله الانسان في ذهنه، يجذب مجموعة مماثلة من الأفكار والخطط والأهداف ويضيفها إلى قوته؛ لتنمو مع بعض وتصبح الدافع المهيمن على الإنسان[١٧].

فالفكرة ليس لها حدود ولا تتأثر بالوقت ولا المسافات ولا الأماكن وبها قد يرتقي الانسان إلى المعالي أو يتبنى أسلوب حياة صحية أم لا، وبالفكرة يخطط لأهدافه ويحققها، وبالفكرة يدخل نفسه في دوامة الأحاسيس السلبية حتى يصاب بالإحباط.

لذلك نجد الإمام الكاظم عليه السلام يحذر من التفكر والتحدث السلبي مع الذات فيقول: (لا تحدثوا أنفسكم بفقر ولا بطول عمر، فإنه من حدث نفسه بالفقر بخل. ومن حدثا بطول العمر يحرص...)[١٨] إذ لا شك أن التحدث مع الذات يتسبب بالبرمجة الذاتية للفرد، ومن خلال هذا التحدث يرسل الشخص إشارات إلى العقل الباطن ويدونها باستمرار إلى أن تصبح جزء من اعتقاداته القوية، وبالتالي تؤثر في أحاسيسه وتصرفاته.[١٩] وفي حديث آخر يقول عليه السلام: (المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان).[٢٠] فالإنسان حينما يحدث نفسه بالصبر ويعتقد به فستعمل دينامكية عقله الباطن على فتح الملفات الساندة بهذه الخصوص وتدعيمه بالطاقة اللازمة للصبر، أما إذا جزع الانسان فالأمر مختلف تماما فستعمل دينامكية العقل الباطن على فتح الملفات السلبية بهذا الخصوص لتعزيز حالة الجزع عنده فيزداد الوضع سوءاً وتصبح المصيبة مصيبتين.

فمن دون شك الانسان هو نتيجة أفعاله، فعندما يفكر بطريقة سلبية فأن ذلك يؤثر في ذهنه ويجعله يركز على السلبيات فيقوم العقل بفتح ملف يضع عليه عنوان الفكرة السلبية، ثم يقوم بإلغاء أي معلومة أخرى ايجابية في هذا الوقت؛ لأن العقل البشري لا يستطيع التركيز إلا على معلومة واحدة فقط في وقت محدد ثم يقوم بتعميم هذه المعلومة وتدعيمها وإيجاد البرهان عليها، وذلك يؤثر على جسم الشخص بما فيه من تعبيرات وتحركات داخلية وخارجية وتنفس، ويؤثر على أحاسيسه وبالتالي على تصرفاته و سلوكه فيتصرف بطريقة

سلبية مما يجعله يحصل على نتائج من نوع تصرفه سواء أكان ذلك في الحياة الروحانية أم الصحية أو الشخصية أو الأسرية أو الاجتماعية أو المهنية وحتى المادية[٢١].

لذلك أذا أراد الانسان أن يحدث تغيرا ايجابيا في حياته فعليه أن يبدأ من الداخل، وهنا نجد الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٢٢] ولا يغير الانسان ما في نفسه حتى يغير تفكيره.

٢. العلم والمعرفة

الاسلام يدعو الى العلم، بل انه يجعل العلم فريضة مقدسة داخلة في الطاعات الدينية، كذلك جعل الاسلام العلم طريقا مؤدية الى معرفة الله سبحانه وتعالى من خلال آياته في النفس وفي افاق الكون، وان خير عباده لله جل وعلا في ان يهتدي الإنسان الى سر الله في مخلوقاته وان يعرف حقائق الوجود في نفسه ومن حوله، وكلما ازداد الإنسان في علمه وثقافته بهرته تلك العظمة الاهيه واستولت على مشاعره فيحاول الوصول الى سر كنهها والفناء فيها[٢٣].

لذا يقول الإمام الكاظم عليه السلام: (فقيه واحد ينقذ يتيما من أيتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه أشد على إبليس من ألف عابد لأن العابد همه ذات نفسه فقط و هذا همه مع ذات نفسه ذات عباد الله و إمائه لينقذهم من يد إبليس ومردته فذلك هو أفضل عند الله من ألف ألف عابد)[٢٤].

ولرفعة شأن العلماء وبيان فضلهم بين الناس يقول الامام عليه السلام: (النظر في وجه العالم حبا له عبادة)[٢٥].

ثم يبين الامام عليه السلام نوع العلم الذي ينبغي للإنسان تعلمه بقوله: (ألزم العلم لك ما دلك على صلاح قلبك، وأظهر لك فساده)[٢٦].

وقد قسم الامام الكاظم عليه السلام المعرفة الى أربعة بقوله: (وجدت علم الناس في أربع: أولها: أن تعرف ربك، والثانية: أن تعرف ما صنع بك، والثالثة أن تعرف ما أراد منك، والرابعة أن تعرف ما يخرجك من دينك)[٢٧].

الْأُول: وُجُوبُ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى، والثاني: مَعْرِفَةُ مَا صَنَعَ بِكَ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي يَتَعَيَّنُ

عَلَيْكَ لأَجْلِهَا الشُّكْرُ وَ الْعِبَادَةُ، والثالث: أَنْ تَعْرِفَ مَا أَرَادَهُ مِنْكَ فِيمَا أَوْجَبَهُ عَلَيْكَ فَتَسْتَحِقَّ بِذَلِكَ الثَّوَابَ، والرَّابع: أَنْ تَعْرِفَ الشَّيْءَ الَّذِي يُخْرِجُكَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَتَجْتَنِبَهُ.

فالغاية الاساسية للمعرفة في الاسلام هي معرفة الله، ومعرفة الله هي معرفة افعاله ومظاهره وتدابيره في الخلق والوجود القائم، فهذه المعرفة هي السبيل الفعال لتحقيق الغاية التي خلق الإنسان من اجلها، وهي عبادة الله وطاعته طاعة كاملة وعليه نجد ورود كثير من الآيات القرآنية التي تذكر الحقائق الكونية والنفسية والتاريخية وغيرها والتي لم ترد لمجرد العلم والمعرفة، وانما ترد في سياق التعريف بالله وبحقه على عباده.

وقد بين الامام الكاظم عليه السلام صفات العالم الذي يؤخذ منه العلم بقوله: (لا تجلسوا عند كل عالم إلا عالم يدعوكم من الخمس إلى الخمس من الشك إلى اليقين و من الكبر إلى التواضع و من الرياء إلى الإخلاص و من العداوة إلى النصيحة و من الرغبة إلى الزهد)[٢٨].

وقد بين الامام الكاظم عليه السلام مقدار الحد الأدنى من طلب العلم بقوله: (يا هشام: من أكرمه الله بثلاث فقد لطف به: عقل يكفيه مؤونة هواه، وعلم يكفيه مؤونة جهله، وغنى يكفيه مخافة الفقر)[٢٩].

بعد ذلك بين الامام عليه السلام أهمية العمل بالعلم ونفع الناس به بقوله: (لا خير في العيش إلا لمستمع واع، أو عالم ناطق)[٣٠].

٣. الصداقة

الصداقة علاقة اجتماعية تقوم على مشاعر الحب والجاذبية بين شخصين أو أكثر وتميزها خصائص عدة منها: الدوام النسبي والاستقرار والتقارب العمري في معظم الحالات بين الأصدقاء مع توافر قدر من التماثل بينهم فيما يتعلق بسمات الشخصية، والقدرات العقلية والاهتمامات والاتجاهات والقيم والظروف الاجتماعية. فالإنسان بطبعه كائن حي اجتماعي يندفع في كل مراحل حياته تلقائيا وبصورة طبيعية للبحث عن صديق أو أكثر؛ ليرتبط معهم بعلاقة صداقة قوية؛ ليتجاوز بذلك خطورة الوحدة والعزلة التي تحرمه من الراحة النفسية وتضعف ثقته بنفسه[٣١].

وتشير الدراسات النفسية إلى أن الصداقات تسهم إسهاما كبيرا في ارتقاء المهارات

الاجتماعية والقيم الأخلاقية، فهي تبصرهم بمعايير السلوك الاجتماعي الملائم في مختلف المواقف ومن خلالها يتعلمون كيفية المشاركة مع الآخرين في الاهتمامات والإفصاح عن المشاعر والأفكار، وتكوين علاقات تتسم بالثقة المتبادلة مع أقرانهم، ومما لا شك فيه أن وجود الصديق يوسع دائرة رؤية الفرد ويمنحه القدرة على حل مشكلاته فإذا كان الصديق مؤمنا وملتزما وذا أخلاق حميدة فإنه حتما سيترك في أصدقائه آثارا جيدة ويسوقهم نحو السعادة؛ لأن الصديق يتأثر تلقائيا بصديقه(٣٢).

لذلك نجد الإمام الكاظم عليه السلام يقول لهشام: "يا هشام، إيّاك ومخالطة الناس والأنس بهم! إلّا أن تجد منهم عاقلاً مأموناً، فأنسْ به واهرب من سائرهم كهربك من السباع الضارية"(٣٣).

فلو تمعنا في حديث الإمام عليه السلام جيدا لبدا واضحا البعد التنموي الاجتماعي للإنسان حينما يريد أن يكون علاقة حميمة بينه وبين إنسان آخر، فالإمام عليه السلام يأمر بعدم المؤاخاة وبناء صداقة مع شخص آخر حتى يتسنى لهم أخبار ذلك الشخص ومعرفة موارده ومصادره، والاختبار هو الطريق الأمثل لمعرفة الرجال. فلا يصح أن نثق بالصديق إلا بعد امتحانه، ولا يكفي أن يبتسم لك شاب فتتخذه صديقا، فالنفوس مثل المغارات لا يمكن اكتشافها بمجرد لقاء عابر، بل لابد من الدخول فيها والولوج في أعماقها؛ كي يكتشف الإنسان حقيقة ما بداخلها فإما تكون مناظرا جميلة وخلابة أو ثعابين وعقارب، فبالصداقة أما أن يسعد الإنسان ويصل إلى بعض الكمالات الروحية والنفسية أو يسقط في مهاوي الرذيلة والضياع. لذا الإمام عليه السلام يشدد على الابتعاد عن رفيق السوء ويشبه الهروب منه كهروب الشخص من السباع الضارية فالإمام عليه السلام يدرك إن الصديق نفعه كثير وضرره كبير، وإن المقاطعة بعد الصداقة أصعب من عدم المصادقة.

ومن جانب آخر نجد الإمام عليه السلام يوصي بعد اختيار الصديق وقبول عشرته بالحفاظ على حدود الصداقة وحمايتها من التصدع فيقول عليه السلام: (لا تضيع حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه، فإنّه ليس بأخ من ضيعت حقه، ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته). فمن وجهة نظر تربوية يضع الامام عليه السلام أمام الشخص بدائل في التعامل مع الأصدقاء من خلال بيان إن الناس ليسوا معصومين وإن الأصدقاء مهما حسنت أخلاقهم، وقوت علاقات الحب بينهم فإنهم عرضة للخطأ والتقصير فإذا ما بدت من أحدهم هفوة في

قول أو فعل، كخلف وعد، أو كلمة جارحة، أو تخلف عن مشاركة في فرح أو مواساة في حزن ونحو ذلك من صور التقصير، فعلى الصديق بعد أن وثق بصديقه ولمس إخلاصه أن يتغاضى عن إساءته ويقيل عثرته حرصا على صداقتهم واستبقاءً لمودتهم، إذ لا شك إن النقد والمبالغة في بيان التقصير يكون باعثا على النفور والحرمان منه، بل ينبغي للإنسان ادامة التواصل مع أخيه والسؤال عنه حتى وإن كان صديقه مقصرا بحقه ولتكن الصداقة بينها هي الرابط المتين.

فضلاً عن ذلك يؤكد الامام عليه السلام على الحشمة والحياء بين الأصدقاء بقوله: (لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك وأبق منها، فإن ذهابها ذهاب الحياء)[٣٤]، لذا يجب أن لا تخرج الصداقة عن اطار الحشمة والحياء من خلال المزاح الحاد الخارج عن حدود الأدب في الكلام والمحاورة والرياء والمباهاة التي من شأنها أن تذهب بالصداقة وتحوّلها إلى فُرقة وعداوة.

٤ـ الغضب

الغضب انفعال مؤلم تصحبه تغيرات فسيولوجية مثل احمرار الوجه وارتجاف الأطراف واضطراب الحركة والكلام، وقد ترافقه سلوكيات خارجية مثل: السب والضرب والقتل والانتقام.[٣٥]، فهو حالة شعوريَّة تختلف شدتها من التهيُّج الخفيف، إلى الغضب العارم كأيّ شعور آخر.

ولا يقتصر تأثير الغضب على الشخص نفسه، بل يمتد تأثيره على المجتمع فينجم عنه توليد الحقد في القلوب، وإيذاء الناس لأن الغضب يجمع الشر كله فإذا امتلأت القلوب بالحقد والعنف والضغينة تعيش المجتمعات في خصام دائم كل ذلك لأن السيئة قوبلت بالسيئة فهاجت النفوس وقامت القطيعة وتفككت روابطها.[٣٦].

لذلك نجد الامام الكاظم عليه السلام يقول: (يا هشام: الغضب مفتاح الشر وأكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا)[٣٧].

لأن الغضب عندما يتملك الفرد يؤثر على جوانب عديدة في شخصيته، مثل الجانب الأخلاقي من خلال أقواله وأفعاله فيقوم بشتم أو ضرب من أمامه، كما يؤثر على الجانب الصحي؛ فيصاب ببعض الأمراض مثل الضغط أو السكري أو القولون العصبي أو رعشة في اليدين أو أمراض القلب، أما عن الجانب النفسي؛ فسيشعر دائماً بالإحباط وعدم الرضا

عن نفسه وعن من حوله، وفي الجانب الاجتماعي؛ تنشأ الخلافات في الأسرة بين أفرادها وقد تؤدي إلى الطلاق وتفكك الأسرة؛ وفي العمل تجد أن الشخص كثير الغضب في مشاحنات دائمة مع زملائه ورؤسائه، كما أنه يؤثر على علاقات الجيران ببعضهم البعض وتحدث فجوة اجتماعية وتفكك بين الجيران، وليس هذا فحسب بل كل ما يحيط بالفرد في الحياة الاجتماعية، لأن الشخص الغاضب يصبح كالمجنون الذي يفقد عقله كما أشار الإمام الصادق عليه السلام لذلك بقوله: (من لم يملك غضبه لم يملك عقله)[٣٨].

الخاتمة:

مما تقدم يتضح ان التربية في الفكر الإسلامي تهتم بنمو الانسان نموا متكاملا ومتوازنا ليكون قادرا على التكيف مع مجتمعه ومتفاعلا مع معطياته تأثرا وتأثيرا لتطوير ذاته ومجتمعه، وإن أهم ما يميز التربية في الإسلام أن فلسفتها منبثقة من القران الكريم، وثباتها في الأصول والمعاني ومرونتها على التطور مما يجعلها قادرة على تحقيق متطلبات المجتمع المتطور زمانيا ومكانيا فضلا عن التوازن في نظمها وعلاقاتها بين الانسان وخالقه وبين الانسان ونفسه وبين الانسان ومجتمعه في العبادات والسلوك والمعاملات.

وكان الانموذج المثالي في التربية الإسلامية هو النبي محمد صلى الله عليه وآله ومن بعده اهل بيته الكرام ولا سيما الامام الكاظم عليه السلام الذي خلف لنا إرثا كبيرا في المجال التربوي الذي تناولت نزرا يسيرا منه والذي ويمكن أن نستخلصه بالآتي:

١. اهتمام الإسلام بالتربية الروحية من الخلال التمسك بتقوى الله والعمل الصالح.

٢.الحث على الفكر والتفكر في الله بوصفه أنجع العبادات.

٣.الاهتمام بالتواصل مع الآخرين وعقد الصداقات مع الافراد الجيدين لما للصديق من نفع كبير على الفرد.

٤. الابتعاد عن الغضب ومسك النفس في المواقف الصعبة كون الغضب مفتاح كل شر ويودي بصاحبه الى المالك.

هوامش البحث

(١) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: ٣٠٤/١٤
(٢) اصول التربية، احمد الفنيش: ٤
(٣) منهجية البحث في التربية الإسلامية، علي خليل أبو العينين:١١٠
(٤) بين الاصالة والتجديد، جابر عبد الحميد: ٢
(٥) الفكر التربوي عند ساطع الحصري تحليله وتقويمه، نهاد صبيح سعد: ٢٣٢.
(٦) التربية العامة، رونيه اوبير:٣٠١.
(٧) ينظر اسس التربية، عزت جرادات وآخرون: ١٧-١٨.
(٨) المصدر نفسه: ٢٠.
(٩) القصة في التربية اصولها النفسية وتطور مادتها وطريقة سردها، عبد العزيز عبد المجيد:٩٧
(١٠) الفكر التربوي الإسلامي، محمد حسن العمايرة:١٧٩-١٨٠.
(١١) فلسفة التربية، محمد منير موسى: ٢٠٥.
(١٢) منهج للإسلام في تربيه عقيدة الناشي، محمد خير فاطمه:٢
(١٣) سورة القصص / ٧٧
(١٤) ينظر اسس التربية، عزت جرادات وآخرون: ص٧٦-٧٧
(١٥) بحار الانوار، محمد باقر المجلسي: ج٣٠٦/٦٨
(١٦) قوة التفكير، إبراهيم الفقي: ٨
(١٧) أساليب النجاح، هادي المدرسي: ٦٣
(١٨) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي٧٥/ ٣٢١
(١٩) قوة التحكم بالذات، ابراهيم الفقي: ٢٤
(٢٠) بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، ٨٨/٧٩
(٢١) المصدر نفسه: ١٦٤-١٦٥
(٢٢) سورة الرعد: ١١
(٢٣) مكانة العلم والعلماء في الإسلام، علي احمد الشحات:٨
(٢٤) بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، ج٥/٢
(٢٥) المصدر نفسه، ج١: ٢٠٥
(٢٦) المصدر نفسه، ج١/ ٢٢٠.
(٢٧) المصدر نفسه، ج٣٢٨/٧٥
(٢٨) المصدر نفسه، ج٢٠٥/١
(٢٩) بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، ج١٥٧/١

(٣٠) المصدر نفسه، ج١/١٦٨
(٣١) الصداقة سيف ذو حدين، مجلة الولاية، عقيل رشيد عبد الشهيد الأسدي:٣٠
(٣٢) المصدر نفسه
(٣٣) بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، ج١/١٥٥
(٣٤) بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، ج٧٥/٢٥٣
(٣٥) التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، محمد عزالدين توفيق: ٣٧٨.
(٣٦) الغضب وكيفية مواجهته، نائلة هاشم الحجاجي: ٢٦٣.
(٣٧) بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، ج١/١٥١
(٣٨) المصدر نفسه ٧٠/: ٢٧٨.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتديء به القرآن الكريم

١. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(١٤٠٥هـ). لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم: إيران.

٢. أبو العينين، علي خليل(١٩٨٨). منهجية البحث في التربية الإسلامية، مجلة رسالة الخليج العربي، العدد (٢٤) السنة الثامنة.

٣. الأسدي، عقيل رشيد عبد الشهيد. الصداقة سيف ذو حدين، مجلة الولاية، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف: العراق.

٤. اوبير، رونيه (١٩٧٢). التربية العامة، ترجمه عبد الله عبد الكريم، ط٢، دار العلم للملايين.

٥. التميمي، عواد جاسم (٢٠٠٥). توظيف مصفوفة القيم في المنهج الدراسية، الشركة العامة لانتاج المستلزمات التربوية، بغداد: العراق.

٦. جرادات، عزت، وذوقان عبيدات،و هيفاء أبو غزالة، وخيري عبد اللطيف(٢٠٠٨). أسس التربية. ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان: الأردن.

٧. سعد، نهاد صبيح (١٩٧٩). الفكر التربوي عند ساطع الحصري تحليله وتقويمه، مطبعة الكتب، جامعة البصرة: العراق.

٨. الشحات، علي احمد (١٩٧٢). مكانة العلم والعلماء في الاسلام، دار احياء.

٩. عبد الحميد، جابر (١٩٩٨). بين الاصالة والتجديد، دار الفكر العربي، ط١، جامعة القاهرة: مصر.

١٠. عبد المجيد، عبد العزيز (١٩٨٤). القصة في التربية اصولها النفسية وتطور مادتها وطريقة سردها، دار المعارف، مصر

١١. العمايرة، محمد حسن(٢٠٠١). الفكر التربوي الإسلامي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط١

١٢. فاطمه، محمد خير (١٩٩٨).منهج للإسلام في تربية عقيدة الناشي، دار الخير، بيروت: لبنان.

١٣. الفقي، ابراهيم (٢٠٠٧). قوة التحكم بالذات، المركز الكندي للتنمية البشرية، بيروت: لبنان.

١٤. ـــــــــ (٢٠٠٨). قوة التفكير، دار الراية للنشر والتوزيع، مصر.

١٥. الفنيش، احمد (١٩٧٨). اصول التربية، ط٢، دار الكتاب الجديد، بيروت: لبنان.

١٦. المجلسي، محمد باقر. بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت: لبنان.

١٧. المدرسي، هادي (٢٠٠٧). أساليب النجاح، ط٣، مؤسسة احمد للمطبوعات ودار العربية للعلوم، بيروت: لبنان.

١٨. موسى، محمد منير(١٩٨٢).فلسفة التربية، عالم الكتب، القاهرة: مصر.